وزارة الثقافة تطلق النار على نفسها

قاسم محمد عباس

مدخل

في البدء يجب أن أشير إلى أنني لا أؤمن بوجود فعلي لوزارة ثقافة في بلد يراد له أن يكون ديموقراطيا، سوى ذلك الدور التقليدي السائد الذي من الممكن أن تقوم به مثل هذه الوزارات في البلدان الديمقراطية. لكن يبدو أن قدر الثقافة العراقية سيبقى وإلى زمن طويل محكوماً بتابعية للقوى السياسية التي تدير شؤون البلاد، أو أن هذه الثقافة ستبقى ملحقة بقوى القرار السياسي، وستبقى علاقة المثقف مع وزارات الثقافة تلك العلاقة المأساوية التي لا يفهم المثقف هل هي علاقة تلاؤم أم نقد أم انسجام أم غير ذلك من التوصيفات المتناقضة، وفيما يعنيني من الأمر هنا أن وزارة الثقافة لدينا ومنذ أن باشرت عملها قبل أشهر طويلة تعيش مأزقاً ربما راحت تستسيغه في ظل الظروف المعقدة التي تعيشها البلاد عموما.

وأول ما يجب أن أشير إليه هنا هو أن الثقافة شيء ، وإدارة شؤونها شيء آخر، أقدّم هذه الحقيقة وأنا أتنبه لسلوك وزارة الثقافة لدينا التي ربما سعت فعلاً إلى إحداث تغييرات في الحياة الثقافية على الرغم من إيماني أن عملاً كهذا أكبر من أن تقوم به وزارة للثقافة ، لأنه يتأثر بفهمنا للثقافة، وفي تصورنا للمثقف، أو أن التغيير الفعلي في الثقافة لا تقوم به وزارة حكومية تشرف على الواقع الثقافي. ولذلك فإن هذه الوزارة لم تجد ما تقوم به في أيامها الأولى سوى أن تركز مجمل سعيها على العوائد الإعلامية لاستعادة ما نهب من ممتلكات ثقافية، في الوقت الذي يعتقد فيه أنها يجب أن تركز على ما لم يسرق أو يخرب من ممتلكات وحتى مثقفين، أو في أقل تقدير التركيز على حاجات ثقافية ملحة أخرى.

ومنذ الأيام الأولى لهذه الوزارة وملاحظة خطواتها الأساسية تأكدت من أن حالة الثقافة العراقية ستبقى لزمن طويل أسيرة الربط بين حاضرٍ وماضٍ ثقافيين يتأرجحان بين الإحباط، وبين نظرة متفائلة نحو مستقبل مجهول،ما لم تتحرر الثقافة من الدولة ، بسبب خضوع سلوك هذه الوزارة لردة الفعل، وليس التأسيس لفعل ثقافي أصيل، أو تقديم استراتيجية ثقافية معقولة خارج ردود الأفعال المتأثرة بتداعيات الوضع السابق.

ففي الوقت الذي يتعرض فيه المثقف العراقي لحالة من الاختلال في المواقع والفهم نرى هذه الوزارة تعيش حالة من الانقطاع عن السياق الثقافي والاجتماعي للمجتمع العراقي وراحت تهمش أو تبعد أو تصدر أحكاماً على هذا أو ذاك، فوزارة تقوم سياساتها الثقافية على مفهوم مسبق عن مثقفي الداخل يتصف بالتعميم ويفتقد الدقة والمعلومة الصحيحة تضع نفسها بدلاً عن القانون وتمارس دوراً متحيزاً في مجال حساس مثل الثقافة استجابت وعلى نحو كبير لنفس محددات الوزارة المقبورة في النظام السابق أو أنها استعارت آلية تفكيرها التي تركزت في ذات الإشكالية وأعني بها إشكالية الكفاءة والولاء، حتى أنها خسرت الكثير من الأصوات الثقافية من الذين عاشوا إرهاب النظام السابق داخل العراق، تلك الأصوات التي مارست فعلاً معارضاً حقيقياً في الداخل على الرغم من مترتبات معارضتها التي كان من الممكن أن تؤدي إلى تصفيتها، أقول أن الوزارة لم تكلف نفسها عناء الالتقاء بهؤلاء الذين يشغلون موقعاً مؤثراً في وعي الكثير من مثقفي العراق سواء من الذين اصطفوا مع النظام السابق أم الذين لم يتعاملوا معه. ان هذه الوزارة آمنت بالقاعدة التقليدية المعروفة (السيئ الذي تعرفه أفضل من الجيد الذي لا تعرفه)، الأمر الذي أشاع جواً من الإحباط عند الجميع، فحتى هؤلاء الذين حكم عليهم بالبقاء في الداخل من الذين تمسكوا بموقف مشرف ضد الوضع الثقافي السابق نظروا إلى الأمر بشيء من الأمل والتفاؤل لإيمانهم أنهم لا يحتاجون وساماً أو اعترافاً بموقفهم لتعلق هذا الموقف بالضمير والشرف الشخصيين. لكن سوء نظر الوزارة وسعيها لتحقيق أكبر قدر ممكن من المنافع في المرحلة الانتقالية قد شغلها عن تفاصيل هذا الوضع المركب.أو أن الوزارة انشغلت لزمن طويل بالعوائد الإعلامية لاستعادة الكثير من القطع الآثارية المفقودة ، التي لم تكن لوزارة الثقافة يد مباشرة في عودتها، ومع إيماننا بأهمية فعل الوزارة هذا وسمّوه، إلا أن الاندماج في صلب عملها من خلال وضع الستراتيجيات والخطط الثقافية المتعلقة بمستقبل الثقافة العراقية كان يجب أن يكون من أولى خطواتها في العمل، لكنها اكتفت بتغييرات طفيفة أجرتها في بعض دوائر الثقافة ، وحتى هذه التغييرات لم تصمد طويلاً فيما بعد، واضطرت هذه الوزارة إلى التراجع عنها، ولو قمنا بمراجعة ما قامت به الوزارة من تغييرات في إدارة مؤسساتها الثقافية سنرى مشكلة أخرى تتعلق بتقديرات هذه الوزارة وتفكيرها اللذين يكشفان عن حالة فقدان للحقائق، وعدم معرفة ملحوظ بواقع الثقافة العراقي.

فشل التخطيط الثقافي

إن تخطيط الوزارة وهي بصدد إيجاد البدائل في عملية بناء المؤسسات الثقافية كان يجب أن ينسجم وطبيعة التغيير الذي هزّ الحياة العراقية عموماً،ويقوم على نظرة عقلانية وواضحة لمؤسسات هذه الوزارة. فنحن جميعاً نعلم الدور المؤثر لمؤسسات مثل دار الشؤون الثقافية، ودار ثقافة الأطفال، والهيئة العامة للآثار ، ودائرة السينما والمسرح ، ودار المأمون للترجمة في صنع الحلقات الثقافية الفاعلة في الثقافة العراقية على الرغم من أن النظام السابق حولها إلى مجال تعبوي مكرس لتسويغ سياساته سيئة الصيت. فدار الشؤون الثقافية مؤسسة عريقة على الرغم من خضوعها لسياسات سيئة وفاسدة إبان الوضع السابق فإنها في واقع الحال قدّمت الكثير من المنجزات الملموسة من مثل المطبوعات والمجلات، وطبعت أكثر من خمسين بالمئة من النتاج الأدبي في العراق، على مدى أكثر من عشرين عاماً، وهو نتاج مهم ومؤثر لمجمل الأدباء ومن كل الأجيال، ولدينا الكثير من الأدلة التي لا يسع المجال هنا لذكرها.

أو مؤسسة مثل دائرة السينما والمسرح التي كانت تستطيع أن تقدم أكثر من خمسة مهرجانات كبيرة في العام الواحد، ونسبة كبيرة من الأعمال المسرحية التي قدمت شكلت تاريخاً وصوتاً مسرحيين واضحين ليس في العراق فحسب ،وإنما خارج العراق، ونسبة كبيرة منها صنفت بوصفها أعمالاً تضمر خطاباً معارضاً جمالياً وفنياً،وحصدت الكثير من الجوائز في مهرجانات عربية كبيرة ومهمة وإن كانت المهرجانات تفتتح بأعمال تعبوية تمجد الحرب والطاغية. ومن من الأدباء يستطيع أن يتجاهل الدور المهم الذي قامت به دار ثقافة الأطفال في تربية جيل كبير العدد من الأدباء منذ نهاية السبعينيات وحتى أوائل الثمانينيات،ومجلات مثل مجلتي والمزمار مثال بسيط على ذلك، ولا يسع المجال هنا للخوض في دور دار المامون للترجمة والنشر، والعدد الهائل من الكتب المترجمة التي طبعتها هذه الدار ما زالت شاخصة في المكتبات العراقية والعربية. ما أريد قوله أن التخطيط الارتجالي لمصير بعض المؤسسات التي ذكرتها على سبيل المثال .أدى إلى تعطيل هذه المؤسسات في النتيجة.

إن التغيير في أبسط أشكاله هو التعامل مع البنى والعلاقات المتولدة عن التحوّل من واقع إلى آخر، وإهمال هذه البنى والعلاقات أثر بالضرورة على التحول الجديد، فمثال دار الشؤون ودار ثقافة الأطفال والتعامل معهما طبقاً لتغيير عقلاني يجعلنا في مواجهة شروط التغيير التي تتطلبها حالة الثقافة العراقية على نحو ملموس وفهم دور هذه المؤسسات وأهميتها عن طريق وضع هذا التغيير في سياق ثقافي وتاريخي لا ينفصل عن الواقع والثقافة معاً.

وكل ما قامت به ـ دار الشؤون مثلا هو إصدار بضعة كتب معظمها إن لم نقل كلها للعاملين في الدار أو الوزارة ولم يلتفت إلى نتاج الكتاب الذين همشهم النظام السابق، ولم يستطيعوا طبع كتبهم لا في المرحلة السابقة ولا الحالية فضلاً عن عدد بائس من مجلة الأقلام، في حين صدرت مئات الأعداد أكثر اهمية منه ايام النظام السابق، برفقة افتتاحيات تمجد الطاغية بالطبع. يجب ان نفهم لماذا يحدث هذا، ما الذي نفتقده لنؤسس لتقاليد ومشاريع ثقافية أصيلة وفاعلة، ولنتأمل بعض اصدارات دولة الكويت في هذا الصدد بعد تحرير الكويت بمدة قصيرة اذن أين الخلل ؟ هل في تصور الوزارة للمجلة الأدبية، أم في ركونها إلى ذاكرة تقليدية في التعامل مع المجلة الأدبية، ما نحتاج إليه في هذه الصدد ادارة وتخطيط أدبي وثقافي حقيقيان، وليس أن ننشغل لأشهر بالتخطيط والكلام والاجتماعات لنخرج بعدد من مجلة من الممكن أن تصدره مجموعة من الطلبة في أية كلية أو منتدى للهواة.

بوادر الفساد الإداري

ربما يعتقد القارئ اننا قد تخلصنا من آفة قديمة حكمت أجهزتنا الإدارية منذ قيام دولتنا المعاصرة، وأعني بها ظاهرة الفساد التي امتدت إلى مجمل أجهزة الدولة ابان النظام السابق، لكن المدهش في حالة وزارة الثقافة الجديدة هو أنها كانت في بعض الأحيان أكثر جرأة من وزارة الثقافة المقبورة، فبحكم اهتمامي بالوثائق والمخطوطات، والأبنية الآثارية والتراثية، فلقد توفر لي أن أكون قريباً من بعض الظروف التي كان يعيشها هذا القطاع من الثقافة، فبسبب خوف أصحاب القرار الثقافي من بطش النظام الدكتاتوري كانت تجهد أغلب الأحايين في عدم الاقتراب من موضوع الآثار أو الأبنية التراثية، ولهذا السبب وغيره سلمت الكثير من تلك الأبنية من براثن أصحاب المطامع والمصالح، لكننا فوجئنا بعد التحول الذي حصل، والتغيير الذي نعيشه أن وزارة الثقافة قد وهبت مجموعة من هذه الأبنية التراثية في شارع حيفا لجهات سياسية وأحزاب ،وأفراد ممثلين لجهات ثقافية، وربما مراكز ثقافية خارج وزارة الثقافة وبغض النظر عن الشكل القانوني الذي اعتمدته الوزارة ، يبقى السؤال الأساسي ما المحددات التي اعتمدتها وزارة الثقافة في التنازل عن هذه الأبنية التراثية لمصلحة جهات حزبية، أو أطراف سياسية أو ثقافية، وكأن هذه الأبنية ملك لوزارة الثقافة يحق لها التصرف بها كما تشاء ، لا بوصفها ثروة ثقافية هي ملك للثقافة العراقية، فما الذي اعتمدته الوزارة من محددات في التصرف الذي أعدّه تخريباً لم يجرؤ عليه النظام السابق،الذي أوقف أي مشروع او طريق قريب من هذه البيوت خشية تضررها. ألا يكفينا الخراب والدمار الذي لحق بآثارنا وأبنيتنا التراثية على يد أعوان النظام السابق، إلى الحد الذي دفع الجهات الدولية المختصة بصيانة الآثار إلى رفع يدها عن صيانة ومتابعة هذه الأبنية، ننتظر أن تقدّم وزارة الثقافة تفسيراً مقبولاً لما حدث، أو تشرح الأسس التي اعتمدتها في هذا التصرف، وما التصور الذي انطلقت منه في التصرف بأبنية تراثية نجت من خراب صدام بمعجزة.

إن تقديم هذه الأبنية إلى جهات خارج وزارة الثقافة،تصرف يقترب من إطلاق وزارة الثقافة النار على نفسها، وآمل ألا تكون الإشاعات التي تنتشر في الوسط الثقافي هذه الأيام حقيقية عن محاولة بعض المتنفذين في وزارة الثقافة لوضع ايديهم على أراضٍ عائدة إلى وزارة الثقافة بشكل أو بآخر ،وبغض النظر عن الشكل القانوني لوضع الايدي هذا، وأخشى أن تكون الوزارة التي لا أشك في أنها ستبقى في التشكيل الحكومي الجديد تحاول أن تحقق أكبر قدر ممكن من الأرباح لشعورها بعدم بقائها في وزارة الحكومة الانتقالية الجديدة، والأمر الأكثر خطورة هو خشية انتقال هذا الفساد إلى الوزارة القادمة أيضاً وستكون الطامة أكبر لو حدث هذا.

البداية الخاطئة

إذا اتفقنا أن الصراع بين الولاء والكفاءة لا يتأثر بتغيير الأزمنة والأمكنة، فإنه يمكننا معرفة وجود هذا العدد الكبير من أنصار وزير الثقافة في وزارته، فعلى الرغم من أنني غير معني بالمعرفة الشخصية بالوزير، إلا أن الرجل يبدو من خلال ما قام به خلال المدة الماضية غير مؤمن بدور الثقافة بما ينسجم والموقع الذي فرض عليه، والا كيف نفسر الموافقة على ميزانية بمقدار مليون دولار من أصل تسعة عشر مليار دولار خصص للدولة، ومع إيماني أن الوضع الراهن يتطلب التركيز على ما هو ضروري ومطلبي يتعلق بحياة الناس ،لتوفير الحاجات الأساسية، لكن ألا يستوقفنا المبلغ المخصص للبلديات لو عرفنا أنه يشكل اكثر من المبلغ المخصص لوزارة الثقافة بعشرات الأضعاف ، الا يكشف لنا هذا الأمر تصور الوزير لموقع الثقافة في سلم الأولويات، وحتى مبلغ المليون دولار لا ينسجم والنشاطات التي قامت بها وزارة الثقافة، والسؤال المهم ما الذي قامت به الوزارة خلال المدة الماضية، للتصرف بمبلغ كهذا على قلته.

عقدة الداخل والخارج

يبدو أن النيات وحدها لا تقدم شيئاً لدفع الحياة الثقافية في العراق، ومن يعتقد أن إشكالية أدباء الداخل والخارج إشكالية غير حقيقية، عليه أن يأخذ كادر وزارة الثقافة على سبيل المثال، فثلاثة مستشارين جميعهم من أدباء الخارج مع تقديرنا الكبير لهم، وكأن آلية المحاصصة التي قامت عليها الدولة لم تكن مفيدة في هذا الاتجاه، لتهيمن جهة واحدة على قرارات وزارة الثقافة ، هذه النظرة دفعت أدباء الداخل من الذين عارضوا النظام السابق إلى تقديم سيرة حسن سلوك كي يضمنوا عملاً في وزارتهم بعد سنوات الجوع، وكأن أيام القهر والألم التي عاشوها في ظل وضع قاس ومؤلم ومفجع لم يكن دليلا على حسن سيرهم وسلوكهم.

إن اللجوء إلى منطق الوصاية على أدباء الداخل خلق فجوة كبيرة قد لا تبدو تجلياتها على السطح لكنها استمرار لسلوك وزارة الثقافة السابقة أبان حكم الطاغية، إن الربط بين عودة أدباء الخارج وبين فكرة الانتصار أمر مفضوح وسمج، ولا يتوازى مع المنزلة التي يتميز بها هؤلاء في ضمير ووعي الأدباء الشرفاء في الداخل،والا كيف نفسر تقديم عدد غير قليل من المفصولين أو المطرودين أيام صدام حسين بطلبات إلى الوزارة لإعادتهم إلى عملهم دون ان يجدوا أي رد على تلك الطلبات ،في الوقت الذي يقتضي المنطق والعدل أن يستدعى هؤلاء من قبل الوزارة للقاء او لإشراكهم في الفعل الثقافي بعد أن أبعدتهم وزارة لطيف نصيف جاسم او حامد يوسف حمادي ، لنرى أن وزارة الثقافة قد عينت مجموعة من المستشارين جلهم من الخارج، ووزعت الوظائف الأساسية طبقاً للمرجعية الحزبية، باستثناء بسيط من باب المجاملة أو اسقاط الفرض ، فمتى وجد أدباء العراق الوقت للانتماء إلى الحزب الشيوعي أو غيره فالمساكين يعيشون مدة نقاهة الخروج من مطحنة الطاغية، ليفاجأوا أن وزارتهم العزيزة اكتفت بمهرجانين أو ثلاثة، في مقدور أي منتدى أدبي في العراق أن ينجزه على نحو أفضل من وزارتهم.

لقد أكد سلوك وزارة الثقافة وطوال المدة الماضية على هذا الازدواج في التعامل مع الأدباء، إلى الحد الذي صار فيه، مصادفة، وجود أديب خارج العراق امتيازاً ملحوظاً يتدخل في تقييمه والا فلتفسر وزارة الثقافة تسليمها لكل المناصب المهمة بيد أخوة مبدعين من أدباء ومثقفي الخارج، أو لتفسر سوء معاملتها لمن عاشوا ظلم الدكتاتور، ربما لسنا بحاجة إلى القول إن هناك الكثير من أدباء الداخل قد تعرضوا للكثير من السجن والاعتداء بسبب مواقفهم، ليس لإيمانهم بأنفسهم بوصفهم معارضين للنظام وحسب وإنما كموقف شخصي من الطاغية وبوسعي أن أزود وزارة الثقافة بقائمة من هؤلاء المتعففين الذين أبوا أن يطرقوا باب وزارة الثقافة لحساسيتهم من المؤسسات الحكومية، وورثوا ذاكرة سيئة ومؤلمة عن المؤسسات الحكومية، وأنا على يقين أن هؤلاء وبلا استثناء قد استبشروا خيرا بظهور وزارة جديدة بديلة عن وزارة القمع السابقة، لكنهم في سرهم أدركوا أنهم سيبعدون أيضاً، لأن الجندي المجهول يبقى مجهولاً في كل الحروب.

لا ادري لماذا لم تفكر وزارة الثقافة بعقد لقاء مع هؤلاء الذين لا يختلف عليهم إثنان في الوسط الثقافي العراقي، سواء من أدباء النظام السابق أم من الذين لم يندرجوا في جوقة الطبالين، كان على الوزارة أن تفكر كثيرا في هذا اللقاء، وكان من الممكن أن يكون لقاءا حيوياً ونافعاً شرط أن نقصي المرجعيات السياسية والاجتماعية والثقافية قليلاً،لإشاعة مناخ يعتمد النقد والحوار والجدل تحت مظلة ثقافية خارج الأطر والتضييقات الحزبية، لتتوضح عبر مثل هذا اللقاء أن التغيير الشكلي لمؤسساتنا الثقافية قد تأثر كثيرا بعدم الفصل بين الولاء الحزبي والمسؤولية الأخلاقية ازاء ثقافتنا ـ وهذه آفة جديدة تعيشها حياتنا السياسية الراهنة ـ إن الدعوة إلى هذا اللقاء بين أدباء الداخل والخارج عموما على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم من جهة وبين وزارة الثقافة كان من الممكن أن تكون خطوة تؤمن لحرية الرأي والاشتراك ببناء الحياة الثقافية العراقية طبقاً لدعوى الديمقراطية الجديدة على من ابتلي بتهمة البقاء داخل الوطن، الأمر الذي كان سيبعد الوزارة عن سلوك التأرجح بين المرجعية السياسية وبين الإيمان بفكرة الاختلاف والتعددية، وكانت الوزارة قد اسهمت بالقضاء على آفة الصراع بين الولاء والكفاءة، الآفة التي نتج عنها كل الخراب المعروف للقارئ والمتابع.

من سيطلق النار

كنت قد كتبت مقالاً قبل هذا الوقت بكثير حول بعض اجراءات وزارة الثقافة بعد تشكيلها بوقت ، وكنت بصدد نشره الا أن الاصدقاء هنا في (المدى) ناقشوني كثيرا فيما كتبت، ووجدوا أن الكثير من الملاحظات الواردة في المقال تقترب من قراءة لما يمكن أن يحصل في مستقبل الثقافة، واقترحوا عدم نشر المقال حينها ايماناً منهم انني ربما تسرعت في قراءة وضع لم يزل في طور التشكيل، ولمعرفتهم بالآمال التي كنت أعلقها على تغيير الوضع الثقافي طلبوا مني الكتابة عن كل ما له علاقة باستعادة ثقافتنا لعافيتها، وتحدثت معهم عن أهمية نقد الحاضر أكثر من أهمية نقد الماضي، فوقفت عند رغبتهم بعدم نشر المقال، لكنني كنت أفكر أن كلامنا عن تقصير أو فشل في وزارة الكهرباء امر مقبول وملموس، لكن ما الفارق عندما نتحدث عن وزارة تعنى بالثقافة تعاني ارتجالاً في التخطيط، أو تفتقد رؤية واستراتيجية ثقافية يتضح في خطواتها الأولى، ألأن الكهرباء ملموسة والثقافة تجريدية، ما المانع في أن نتحدث عن الوزارتين بلغة واحدة، فالفرق معدوم على مستوى النتائج.

إن تصورنا للذي يحدث مأساويا واقع الحال، وخيبة أملنا كبيرة بوزارتنا التي فاجأتنا بأنها مندهشة من أن أدباء الداخل يخوضون في المناهج الحديثة،وعلى إطلاع بالمتغيرات الثقافية في العالم ، بل أن بعضهم يأنف من الكلام عن ما بعد الحداثة بوصفها من نتاج الفكر الإمبريالي ، وعن عدم جدوى هذه المناهج أو الحقب الثقافية، إلى الحد الذي أدهشني بعض هؤلاء بسجنهم عقولهم في لحظة تاريخية ارتبطت في وعيه بلحظة خروجه من العراق، وكأن كل المتغيرات الثقافية التي تحدث في العالم لا تعنيه، أو أنها خارج منهاجه الحزبي، اقول أن خيبة الأمل ببعض من عاد من الخارج كبير جدا، ويبدو أن قيمتهم التاريخية هي القيمة الأكيدة، بسبب انهم يفتقدون لقدرة التفاعل مع المتغيرات التي شكلت ثورة ثقافية في عالم الفكر، ولجهل النظام السابق بهذه المناهج فقد توفر لجيل من المثقفين والأدباء أن يختبروا قدراتهم وأدواتهم عبر هذه المناهج الحديثة، لكن هؤلاء صدموا من موقف أدباء عادوا من الخارج ليتسلموا مواقع المسؤولية في وزارة ثقافتهم لكنهم متسلحون بثقافة كلاسيكية، والتي تدفعك للإحساس بانك في عراق الستينيات أو في أفضل الأحوال عراق السبعينيات ثقافيا ـ مع إجلالنا لتلك الحقبة ـ لكن الأمر هنا يتعلق بطرائق التفكير والتفاعل مع التحولات الثقافية، فكيف يمكن لوزارة ثقافة جل كادرها من جيل قديم تقاعد لدينا في الداخل ان تخطط لثقافة عراقية جديدة ، كيف يمكن لوزارة تتحسس من الدماء الجديدة التي من الممكن أن تسهم في التخطيط لمستقبل الثقافة لدينا، أظن ان وزارة الثقافة قد أطلقت النار على نفسها ، ولن يقدر لها أن تكون ذات فاعلية او دور في الحكم الانتقالي القادم، واذا ما بقيت فإنني على يقين من أن مثقفين حقيقيين منهم من انتصر على الطاغية ومنهم من عاد من الخارج ، اقول أنني على يقين من أن هؤلاء سيطلقون النار على وزارة الثقافة بكل قوة..

العمل في العطلة

احمد سعداوي

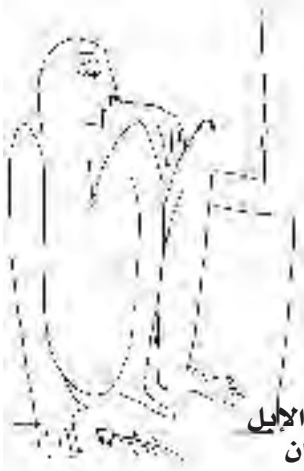

١-
ساعمل في العطلة، حبيبتي
إخلاصاً لوهمنا الأبدي..
ساعمل في هذه العطلة
والعطلة التي ستليها.
ولكن، هل ستنتهي
هذه العطلة أولا؟
٢-
المخيلة تنتصر على الذاكرة
حبيبتي
ولكن، دعينا أولاً
نجمع هذه الإبل
من الأفق الصحراوي الممل.
دعينا نبلط الصحراء تحت الإبل
أو نرسلها إلى حديقة الحيوان
٣-
لالتقط لك صورة إيها الطفل
صورة بدرهم.. بدرهمين
صورتان في لحظة واحدة، ستختفي أيها الطفل.
ثق بي
أنه يوم عطلتي..
صورة بدرهم.. بدرهمين
ستختفي أيها الطفل.
٤-
أنا... الإخلاص للثلج الشاحب
في كأس الظهيرة
أنا.. تمرة مقفلة على صيف طويل.
بينما راديو الترانزستور يستمر في تقليب الظلام.
بينما.. من جيب سروالي
تبزغ نجمة.. فامنعها.. أن تضحك أو تبتسم.
٥-
أنت تسخرين من كلماتي
وهي تتقدم لسحق العالم،
ليس في الأمر فضيلة
فانت تسخرين دائماً
والعالم سيسحق على أية حال
٦-
هذه هزيمتي
شفرة تتقدم ببراءة
كي تقطع صورتها في المرآة..
ستغدو هزيمتك
إن حاولت مجابهتها.
لم يتبق في يدي من سلاح
سوى أنت
أيتها البريئة.

٧-
انه (صوجي)
أكو واير انزلغ حبيبي
لا أحد يجرؤ على إيقاف الكلام
وهو يجري نحو حتفه السريع
ما كو مشكلة
.. بايسكلات مسرعة
لا أحد يحب رؤية الشوارع
فارغة... حبيبي
٨-
بيننا عبد صامت
أم إننا منعناه من الكلام؟
بيننا لوح طيني
يفكر بنجاته من المتاحف
أم إننا سرقناه؟
بيننا زجاج بارد
أم إنه الشتاء فحسب؟
بيننا كراج
يركض فيه الناس
بخفة الأكياس
أم إنه
افتراقنا القاحل؟

٩-
كل صباح يلوي الصباح شفتيه بعبوس
ويمتلئ أنفي
برائحة الأسماك الميتة
الاسماك..
تلك التي منعتها من الرحيل.
١٠-
الكل يفكر بنجاته، حبيبتي
وسجادتي الصوفية
ترفض الإقلاع.
مصباحي السحري
إمتلأ بالمطر
فأغرق.. مخلصنا الوحيد
الباب والشباك
يلتئمان مثل جرحين.
وأصوات احتضار العالم
تثير الضحك
وتستهلك أنفاسي الأخيرة
الرجال من الأقارب
والنساء من الأباعد
يتحاشون أعمدة الكهرباء
وهي تتمايل في الريح.